الباب الثالث

زكى المحامى عن الايجاره

obeikandl.com

دفاع عن الايمان

حقيقة راهنة ان الايمان بالله اكبر فكر يخطر في عقل البشرية ، وان الايمان بالله أساس كل مدنية ولاريكم ماذا يرتكز على ذلك الايمان قبل ان اكشف لكم ما يتهدده . لانه اذا لم يكن لذلك الايمان أهمية فسواء لديكم أكان مهدداً أو غير مهدد . اما اذا كان لازماً للمجتمع لازماً المدنية فانكم لا شك ترون في كل ما يتهدده خطراً على البشرية .

ويظهر لزوم الايمان اولا في الشعور بحضور الله في الحياة . هذا هو اسمى مايستطيع ان يناله الانسان ولن يستطيع ان يناله الا اذا كان له ايمان بالله

كلنا يُحس بضعف الانسان . وكلنا لا شك قد سارت به الظروف الى حيث تكشف له عجزه . وان كان فيكم من يثق بقوته فليجلس بجانب فراش صديق له يحتضر وهو يشاهد الحياة تتسرب من جسم ذلك الصديق ، وعند ذاك يتبين له جلياً قصور الانسان وحاجته الى معونة وقوة فوق قوته ، حاجته الى الاعتماد على أذرع قوية يستند عليها حين يرى شمس حياته آخذة في الغروب ويحس بسكون الموت ساريا فيه ، حين يرى روحه تعالج الانتزاع من بين جنبيه الى حيث لا يدري . .

ويظهر لزوم الايمان كذلك في الشعور بالمسئولية لله. ذلك اقوى تأثير في حياة البشر. وفي مرحلة الانسان من مهده الى اللحد ليس ما يعدل قوة ذلك الشعور في حفظ الانسان من مجانبة سبيل الحق . انك لن تستطيع ان تبني

لمجتمع او المدنية الا على الاخلاق ، والاخلاق لا تبنى الا على الدين ، وليس للدين الا أساس وحيد — هو الله .

ثم انك لن تستطيع ان تصلي ان لم تؤمن بالله وليس يكفيك ان تؤمن بالله بل يجب أن تؤمن به كشخص لك به صلة . ولو كان مستطاعاً اليوم ان يمحى من قلب الانسان وعاقلته كل فكر عن الله وبالتالي كل فكر عن الصلاة — لو كان في مقدورنا ان نتصور الحال التي نكون عليها بعد اليوم اذ لا يرتفع قلب لله بالشكر ، او الاسترحام او طلب الهداية والارشاد ، وأغلق كل قلب عن كل وحي من السماء ولم يعد يهتم أحد بما لله ، بل ضرب البشر بمشيئته عرض الحائط — فماذا تكون حال البشر وفي اي فتنة يتخبطون ؟

من دون الايمان بالله لن يكون لنا ايمان بحياة مستقبلة بما فيها من عقاب او ثواب . واذن ، ففيم نجد بديلاً في ساعة التجربة عن الثقة بما يدخره الله لمن يعرفون كيف يصابرون ؟

واذا انعدم الايمان بالله، فلتنتظروا عبثاً تحقيق أمنية اتحاد البشرية التي طالما تغنى بها الانسان . انا لا نحس بالقرابة الا حين نرجع بنسبنا الى أب الكل . فاذا لم يكن هناك أب فليس هناك من اخوة . ولن تكون البشرية الا على احدى حالين اما ان ينظر الانسان الى الانسان كأخ له اذ يحس بقرابته اليه ، او يفترسه افتراساً كما تفعل ضاريات الوحوش

واذا لم يكن هناك ايمان بالله فلن يكون هناك ابن لله . أفهل وقفت

قليلاً لتفكر فيما تؤول اليه حال العالم حين ينتزع شخص المخلص من تاريخه؟ ليس بنا حاجة لنجيب عن ذلك . فان شخص المسيح قد ارتبط به ارتباطاً يعز جداً فصله عنه وليس هناك مسعى وراء الخير ، وليست هناك بركة نالها العالم ، أو خير اغدق عليه الا ما كان من يد رجل الجليل . فهو وحده حقيقة التاريخ العظمى ، وهو الشخصية البارزة وسط الاجيال .

واذا لم يكن هناك الله فليس كتاب مقدس . واذن فليست هناك مشيئة لله معلنة . والى مَ يؤول العالم بعد اخذ الكتاب المقدس منه ؟ ليس لدي شك في ان هذا الكتاب قد عمل على تهذيب العالم اكثر مما عملته جميع الكتب الاخرى مجتمعة

دعوة

الى هنا قد وقفت موقف الدفاع . ولكن أتقدم الآن للهجوم . وحين أريد ان اهاجم الخصم لن احاربه الا في ارضه .

ولذا أقرر لكم مبدأ خطيراً ، وليتقدم من بينكم يا أساتذة الجامعات من يقوي دحضه . وذلك هو المبدأ . ان هناك ثلاث آيات في الاصحاح الاول من سفر التكوين حوت في جوفها من المعاني اكثر مما حوته جميع الكتب التي كتبها الانسان . اول هذه الآيات هي الآية الاولى من ذلك الاصحاح «في البدء خلق الله السموات والارض » وأني أقرر صراحة ان هذه هي الحقيقة الوحيدة التي تستطيع ان ترتكز عليها معللاً مصدر الحياة. فلتنقب في جميع كتبك ، ولتقرأ كل ما خطه البشر علك تجد مصدراً آخر للحياة الانسانية

ان الحياة هي الشيء الوحيد المهم في العالم . والآية التي نحن بصددها تميط لنا اللثام عن منشأ الحياة .

والآن نريد ان نفسح للملحد مجال الاعتراض فنترك له الفرصة للسؤال. وكلكم يعلم ما في ذلك من التسامح اذ ان الطفل الصغير قد يريك باسئلته شيخاً قد حنكته الايام وقد يحق للمسيحي أن يجيب على بعض الاسئلة أن العقل المحدود ان يسع ما لا يحد . ولكن لندع الكافر يسأل ثم ليسمح هو لنا بان نسأله . وهل في ذلك اجحاف ؟ فما سؤال الكافر ؟ ليس له الا ان يقول « اين تبدأون ؟» وجوابنا على ذلك « انا نبدأ حيث يبدأ الكتاب المقدس » وأين يبدأ الكتاب المقدس ؟ « في البدء نعم البدء كان الله الحكيم القوي المحب . نبدأ بالسبب الذي يصدر عنه كل ما صدر

أما وقد أجبنا سؤال الكافر فقد جاء دورنا لنسأله السؤال الاول — وهو نفس سؤاله — « أين تبدأ ؟ » أين يبدأ الكافر ؟ انه لن يستطيع ان يبدأ بالله لانه لا يعتقد به ، ولن يستطيع ان يرجع قبله لانه ليس قبل الله من شيء . اني لم أر بين الكفرة من رجع في ذلك الى ما قبل النظرية السديمية . ولكن تلك النظرية تفرض وجود شيئين لا تعلل وجودهما . فهي تبدأ بفرض وجود المادة . ومن أين أتت المادة ؟ انهم لا يعرفون . ولكنهم يقولون بوجودها . ومتى أتت ؟ وكيف أتت ؟ انهم لا يدرون . ولكنهم يقررون وجودها . ويقولون انها انقسمت الى اجزاء دقيقة ، متناهية في دقتها. ولم لم تنقسم الى اجزاء أدق ؟ ويزعمون أن تلك الدقائق قد انفصلت عن بعضها ، وبعد ان انفصلت لا يدرون كيف يجمعونها فيقولون بوجود

القوة. وأين أتت ؟ لا يعرفون. ومتى أتت ؟ لا يعرفون . وكيف وجدت ؟ لا يعرفون. فيقولون « لنفرض أن المادة والقوة وجدتا معاً »

اذا كانت هذه فروضهم . فلم لا يحق لي أن افرض ايضاً . وأني لافضل جداً أن أومن بالله ، وأعلل كل شيء من وجوده ، من أن أومن بالتراب وأعلل من وجوه الموجودات

صنعة التراب اعظم صنعة الله :

قد يقولون عني وأنا أقرر ذلك أني في جهل مطبق . ولكني أقول لهم أني أعلم اكثر مما يعلمون . اني لا أعلم انك في جميع الكتب التي تحويها مكاتب العالم بأسره لن تجد سوى تعليلين للخليقة . أولهما من الله هابطاً ، والآخر من المادة الجامدة صاعداً . وأني أقرر أن طريقة تعليلنا أقرب للعقل بكثير من طريقتهم . وأقول انك لن تجد في كتابات البشر ما يماثل العدد الاول من الاصحاح الاول لسفر التكوين في موافقته للعقل ، والادراك ومن سهولة الايمان وسهولة توضيحه . انه الصخرة القوية الوحيدة في العالم كله.

فالآية ترينا منشأ الحياة . وما الآية التي تليها من الثلاثة الآيات التي نحن بصددها ؟ انها الآيه الرابعة والعشرون ، التي فيها يقرر موسى — وقد أوحي اليه من الله — ناموس الله في الانتاج . فان كانت الحياة لتبقى على الارض وجب أن تنتج . وان كانت فلابد لانتاجها من قانون . واني أصرح ان هذه الجملة تقرر اعظم الحقائق العلمية في العالم . وهي حقيقة قانون البقاء في الارض . ان موسى لم يكن عالماً ولكن علماء الارض أجمعين لم يأتوا من العالم بمثل ما أتى به موسى في هذه الكلمة . تلك هي اعظم حقيقة

علمية . وعليها نبني كل تنبأتنا . لقد تستطيع ان تمزج كل الحقائق العلمية معاً ، ولكنها لن تكون لدى الانسان من الاهمية بمقدار ما لتلك الحقيقة وحدها : حقيقة بقاء الحياة . فذلك هو القانون الذي لم يكسر قط .

وانك لن تجد في اي كائن حي من نبات او حيوان ينتج نتاجاً مخالفاً لجنسه ، وحتى الانسان ، الذي وضع قليلاً عن الملائكة — على كل ماله من القوة لم يمكنه ان يتعدى خط اصول الانواع .

تكلمنا عن آيتين وما الآية الثالثة ؟ انها الآية السادسة والعشرون . تلك هي الآية التي توضح لك وجود الانسان على الارض . ذلك الذي وقف امامه اكبر العلماء وقوفهم امام اعضل المعميات . اجل. لم يقو انسان ما على ان يقول لنا لم وجد الانسان . وكيف يقوى إلا باعلان ؟ فالانسان يأتي الى العالم بغير ارادته، وهو لا يدري في أي عصر ،و بين أي جيل من الناس يولد ويجيء الى العالم عن طريق الصدفة ، ومتى جاء فلا يدري كم يعمر ، ولن يستطيع ان يضمن لنفسه المناعة من الموت او المرض دقيقة واحدة . ولكن رغم ذلك فهو سيد الكل . فلتسع في حل ذلك اللغز ان استطعت بغير اعلان ! . . انك لن تجد له حلاً إلا في آيتنا . وحين يعلم الانسان انه ابن الملك ، وان الله بعد ان صنع الخليقة خلقه على مثاله ، ووهبه الارض ميراثاً ، وانه خلق لغرض ، عند ذلك يعرف واجبه الاسمى ، و يسعى جد السعي في اتمام مشيئة الله . وحين يسعى ليكشف تلك المشيئة يعلنها الله له و يقول « كل شيء الك وما عليك سوى الطاعة . أطع فلقد قرنت سعادتك

بطاعتك . أطع فلقد جعلت في مكنتك ان تسمو وتحيا في أرقى مستوى ادعو اليه نبي »

فليأت لنا الكفرة واللا أدريون والاساتذة الاعلام بما هو أهم من ذلك الذي تحويه تلك الاعداد الثلاثة . وبخلاف هذه الاعداد لنا تعزية المزامير ، ووحي الانبياء ، ولنا ما نستخرجه من التعاليم في معاملة الله لشعبه ، ولنا تاريخ يسوع ، ولنا قصة موته على الصليب كفارة عنا ، ولنا ناموس آداب ثابت بثبات الابد ، ولنا انجيل لكل كائن بشري . وان كان الكتاب حقاً فعلينا ان ندافع عنه .

ما يهدد الكتاب :

ما الذي يهدد الكتاب ؟ لقد تقول « ان في الكنيسة مرائين لا يتميزون » . هذا حق . ولكنهم لن يستطيعوا أن يهددوا الكتاب . ولكن الكتاب يتهددهم . وانك لتدعوهم مرائين لانهم لا يعيشون على مقتضى الكتاب . ولقد تقول « ان هناك قوماً ذوى اخلاق خارج الكنيسة » . ولكن هؤلاء قد كسبوا أخلاقهم من الكنيسة من دون ان يعترفوا صراحة بضمير سليم انهم هناك قد كسبوها . فالعائقان الكبيران للكنيسة هما من أناس كسبوا أخلاقهم من الداخل ليظهروها في الخارج ، وأناس خارج الكنيسة تظهر أخلاقهم داخلها . ولكن ذلك لن يهدد الكتاب . ولم يقم ما يهدده في التسعة عشر قرناً الماضية سوى حدس الانسان . لقد ينال دارون شرف استكشاف نظريته . ولكن جده من قبله كان يردد في فكره ان الكتاب المقدس غير صحيح ، وان الانسان قد يكون أتى من طريق غير

التي يذكرها الكتاب . وفي التاريخ تجد ان بعض اليونان قد قالوا بنشوء الانسان من الحيوان ولكن دارون أحرز الفخار لانه حاول أن يوضح ما قالوا به .

لقد وجهت احدى المجلات سؤالين الى أساتذة الجامعات الاعلام هما « هل يعتقد أساتذة علم الحياة ان منشأ الانسان القرد » ؟ « وهل كان يظن دارون ذلك ؟ » . وجميعهم على ما أذكر ـ من كان منهم يعتقد بالنشوء ـ أجابوا بأنهم لا يعتقدون ان الانسان نشأ من القرد بل انه نشأ من تلك الشجرة نفسها . ولكن من غصن آخر . وجميعهم ما عدا اثنين منهم أجابوا انهم يرون ان دارون لم يرجع بالانسان الى هذا النسب ومن ذلك يتضح انهم لم يدرسوا ما كتبه دارون عن ذلك وانهم استقوا معلوماتهم من أشخاص درسوها . لان دارون يقول بذلك صراحة . وهو لا يقول انا ننتسب الى القرد فقط بل انا ننتسب الى القرد الاوروبي وليس الى القرد الاميركي ! ...

اعتراضات على داروين

ثلاث اعتراضات ضد دارون . أولها ، انه ليس على حق ، وليس هذا أهم الاعتراضات ، فكم من الاكاذيب لا يعبأ بها الانسان . وثانيها ان نظريته أسعفت ما جادت به قريحة مفكرة ، وليس ذلك أيضاً أكبر الاعتراضات لان هناك من المضحكات مالا يسترعي السمع ولا البصر . أما ثالثها فان نظريته هادمة مهلكة .

ولأريكم اولاً كذب نظريته . وأريد كذلك ان أريكم ان هناك قوماً كثيرين يستعملون كلمات لا يفقهون معناها ، وحين يفهمونها يتركون استعمالها .

واني لاجرأ على القول ان ليس بين النشوئيين من يعرف معنى كلمة النشوء . أقول ذلك لاني ستوضحت تلك النظرية من الكثيرين فكانوا عن ايضاحها عاجزين . واني اجرأ على القول انه ليس هناك (نشوئي) استطاع ان يأتي بمثل للنشوء أو صورة ظاهرة له لانه لن يجد مهما يحاول . وهؤلاء القوم لا يفهمون معنى كلمة نظرية ومع ذلك فهم أبداً يتكلمون عنها . فما معناها ؟ ان النظرية هي مجرد حدس . هكذا تجدها في القاموس . ولكن لو كان دارون قد أسمى تلك الفكرة التي جالت بخاطره حدساً لما عاشت اكثر من سنة . أما وقد أسماها نظرية — والناس لا يفهمون معنى النظرية — فلها الآن من العمر ستون عاماً . لقد جال بخاطر دارون انه منذ مئتي مليون سنة ظهرت على هذه الكرة بذرة أو بذور حياة . هذه نظرية دارون ، ولو ان ابنه قد جعل تلك المدة سبعاً وخمسين مليوناً من السنين . ولمَ هذا الخلاف بين الابن وأبيه ؟ ليس لذلك من سبب سوى ان الاب قد استرسل في حدسه أكثر من ولده . وبعد ذلك أتى من هو أصغر منهما فقال . ان تلك المدة أربع وعشرون مليوناً . وهناك من هو أكبر منهم جميعاً قال انها مائتا مليون

قال دارون ان الحياة نشأت من بذرة واحدة أو عدة بذور . وقد قرأت كتاباً علمياً يقول المؤلف فيه أن كل الحياة على الارض — نباتية وحيوانية — نشأت من بزرة واحدة . وأي عقل في الوجود يصدق أن بذرة واحدة تلد نباتاً وحيواناً ؟

لقد قال دارون في شبابه ان الله أوجد تلك البذار ، ولما تقدم في السن اعتذر عن خطأه وقال ان تلك البذار ظهرت ، لانه لم يرد ان يذكر كيف

أتت ولا من اين . وجال بخاطره انها ظهرت وانها بدأت تتوالد . لقد قال بعض العلماء انها ان كانت ظهرت بهذا الشكل فلا بد ان تكون قد ماتت قبل ان تتوالد واني أفضل ان استرسل في حدس مع هؤلاء . ولكن دارون يقول أنهاقد توالدت حتى نشأ منها اثنان أو ثلاثة ملايين من الانواع ،وانقل انها مليون واحد فلو سلمنا مع دارون انه في مدة مائتي مليون من السنين نشأ من ثلاثة بذار للحياة مليون نوع من الكائنات الحية لنتج من ذلك اننا نرى ذلك التنوع دائم الظهور امامنا في كل قدم مربع من الكرة الارضية ولكن بحث ستين سنة لم يهد العلماء الى حادثة تنوع واحدة في أبسط كائن حي ، أو ليس من العجيب ان يقولوا ان كل شيء قد تغير وهم لا يجدون شيئاً واحداً قد تغير ؟

سن او جمجمة

في ولاية نبراسكا وجد أحدهم سناً — سناً مجردة واحدة — ليس معها فك ولا جمجمة ولا هيكل عظمي . ولكن مكتشف تلك السن ذهب بها الى نيويورك وأراها لرئيس المتحف .وهنا عقد الرئيس مع أمثاله من العلماء جلسة قرروا فيها ان السن هي لحيوان منقرض هو أدنى الحيوانات الى الانسان . وفي ذلك الوقت عثر أحدهم على جمجمة قرد في أفريقيا فظن انها جمجمة الحيوان الادنى للانسان . وهنا قامت قيامة العلماء ، وحصل نزاع بينهم . فقام منهم فريق يؤيد السن، وفريق يؤيد جمجمة القرد. واني أرى أنهم سوف يضيعون في ذلك زمناً كبيراً . أما اذا كان ولا بد من الحرب

— بين نبراسكا وافريقيا — فاني في جانب نبراسكا من غير شك — ولذا عليَّ ان أقف في جانب السن ! !

أو ليس منتهى السخافة ان تقوم قيامة العلماء لاجل سن وجمجمة ؟ ليس ذلك بعجيب، لانه حينما يظن الانسان ان دم الحيوان يجري في عروقه فهو يسعى السعي المتواصل لبلوغ نسبه ، ولذا يجوب الارض كلها علّه يعثر على هيكل عظمي ، ولا يقطع الشارع القصير سعياً وراء نفس يخلصها . انك لن تستطيع ان تولد في قلوب هؤلاء القوم شوقاً الى خلاص النفوس لان افكارهم قد شغلت بالحصان ذي الخمسة الاصابع! ورغم كل ذلك تبقى الحقيقة ظاهرة انك لم تجد نوعاً من الكائنات الحية تنوع واذا كنت لا تجد نوعين من النبات نشاءا من بذرة واحدة أو نوعاً نشأ من بزرة غير بزرته فكيف يريد اولئك القوم ان ينزلوا بالانسان الى مستوى الحيوان ؟

ولقد يسائلني البعض «أفتريد بذلك ان تنفي كل برهان على النشوء»؟ « نعم . ليس على النشوء برهان واحد » « اذن . فكيف يصدق به اولئك العلماء الكبار ؟ » . ومن شاء جواباً فليذهب الى مستشفى المجاذيب يرَ من خريجي الجامعات عدداً وافراً . ولكنا رغم ذلك نقول أن كل ماعلينا أن نهذب العقل . ولو فطن العلماء لعرفوا أن « من القلب مخارج الحياة » . وأنه « كما يفتكر الانسان هكذا هو » وأن القلب حين يزوغ يجذب معه العقل . فليس في كل عقول العالم جمعاء ذرَّة واحدة من المحبة ، وليس فيها أثر للفضيلة ، لان العقل ليس سوى ماكينة يحركها سيد هو القلب . وعقل الرجل المتعلم يشتغل للسرقة بنفس السهولة التي يشتغل بها لخدمة الانسانية

عبادة العقل :

هؤلاء القوم عباد لعقولهم ، وهم يحاولون جهدهم في ابدال الدين بالعلم . ويجدون في نظرية النشوء بعض الترضية لعقولهم ، واشباعا لكبرياء قلوبهم فلقد تسمع النشوئي يقول لتلميذه . انك لن تقوى على فهم الكتاب . ولن تستطيع ان تدرك المعجزات التي وردت فيه . فلأعطك عنه بديلا يكشف لك ما خفي عنك . ان النشوء هو القانون وحين تفهم النشوء تفهم كل شيء»

هذا تملق للعقل ، و بعض العقول تحب التملق ولكنه أكثر من ذلك . انه لاهوت الرجل الكسول يروق له و يحسن في عينيه ، لانه أكسل نظرية أتى بها إنسان . ولو اعتقد الانسان أن جدوده كانوا عجماوات فكل ماعليه في صباح الأحد أن يطيل الوقوف أمام قفص أحد الحيوانات ليرى كم سار في التقدم . أما إذا كان مسيحياً فليس له إلا أن يذهب إلى الكنيسة ليرى كم عليه أن يصعد في طريق الرقي لبلوغ الكمال . فالمسيحية ليست عمل الرجل الكسيل . وليس بين الديانات مايقرب المسيحية من حيث انهاض قوى الانسان .

ان النشوء يخمد الرجاء ، والشجاعة والطموح إلى العلاء . ولو قرأت أي كتاب عن علم النفس لأحد معتنقي نظرية دارون لرأيته يقول لك أن الانسان عبارة عن مجموعة عواطف حيوانية ، وما عليه إذا أخطأ لوم أو تثريب . وشتان بين من يرجع بنسبه إلى الغابة ، ومن يرجع به الى عرش الله ! وان كان مثلنا الاعلى أسفل منا فلا شك أنا هابطون . أما إذا كان أعلى منا فانا لابد محاولون الصعود

أتموجات أم كلمة الله ؟ :

لقد كتب فوردك (Fosdick) كتابا عن الايمان جاء فيه أن النشوئيين يقولون في تعليمهم « إذا كان للانسان عين فانها تولدت من ضربات أمواج الضوء على البشرة . وإذا كان له أذن فقد نشأت من تموجات الصوت وتولدت منها حاسة « السمع » ويقول « ان النشوئيين يعللون وجود كل شيء بالبيئة التي تعمل على وجوده » ! تفكروا في ذلك قليلا ، إذا كان لضربات أمواج الضوء على الجلد نتيجة هي تولد العين ، فلم لايمتلىء الجلد كله بالعيون ؟ ورغم ذلك يصدق الناس هذه السخافات ويعلمون بها ، وهم لا يريدون أن يصدقوا معجزات الكتاب

ولكن أهم اعتراض على نظرية دارون أنها هادمة ، ولست أقصد أن كل من يصدق بها يفقد حياته الروحية ، هذا مايفتكرونه عنا ، ولكننا نقول فقط أنها تميل إلى هدم الايمان بالله ، وحين أقول لكم بوجوب التلقيح ضد الجدري فلست أقصد أن كل من يصاب به يموت ، ولكن كثيراً ممن نزل بهم قد سلبهم الحياة وانى ضد تلك النظرية ليس لسخافتها فقط ، بل السبب الاكبر عندي أنها خطرة ، وأكثر من خمسة في المائة ممن يتلقنونها في الجامعات يموتون بها . ولتذكروا أنها قتلت دارون وكفى ، فدارون قد بدأ حياته مسيحيا ، واختط له أبوه فيما اختط لمستقبله ان يكون خادماً للانجيل وحين رآه يترك ذلك للبحث في العلوم أسف وفي صغره كان يعتقد بكل ما يعتقد المسيحي ، ولكن خطاباته التي كتبها عند نهاية حياته تدل على أنه نبذ الايمان بالكتاب كأنه وحي من الله ، وبذلك نبذ الايمان

بالمسيح ، ولقد سعى في أن ينزل بالانسان الى مستوى العجلوات ، فقاسه بمقياس العجلوات ، وأغلق دونه باب السماء

الطريق الكتابية للتوبة

لقد خرجنا من حرب هي اكبر حرب دموية رآها العالم . وحين ننظر الى الوراء نرى ثلاثين مليونا من الانفس البشرية ملقاة في ميدانها بلا حياة ونرى ثلثماية مليون من الريالات قد انفقت في اعدادها ونرى ديناً تخلف بعدها يبلغ ثلاثة أضعاف ذلك . نرى العالم يئن تحت نير الشيطان و إلى من يذهب للعتق منه ؟ هنالك شخص فريد ، ذلك الذي قد تربى في دكان النجار ، ولتذكروا أن خراب العالم لم يأت على ايدي الجهلاء بل قد أتى على يد خريجي الكليات والعلماء الذين بنوا الطرادات وركبوا الغازات ، والذين أدوا بالعالم الى ذلك الانتحار المريع

ليس يستطيع ان يخلص العالم رجل يطمع في الالوهية ولكن يخلصه إله يتنازل الى الانسانية . والنشوء يسلب المسيح مجده في ميلاده المعجزي ، يسلبه مجد لاهوته ، يسلبه مجد قيامته . ولكنا نحتاج الى مسيح قد امتزج دمه بتيار الزمن ، مسيح في فلسفته أشبع كل حاجة بشرية. هذا هو المسيح الذي يخبرنا عنه الكتاب المقدس .

اني أؤمن بالله ، وحين يرجع العالم الى الله ، ويفتش في كتابه ، يجد فيه مشيئة الله المعلنة ، يجد فيه قصة يسوع التي هي الرجاء الوحيد للانسان ، والتي فيها يجد حلا لكل ما يحير العقل والقلب

بلي براي

BILLY BRAY

— ١ —

رب آنية ضعيفة يستخدمها الله بطريقة تحار لها العقول . من تلك الأواني كان بلي براي الفحام . فلقد كان قبل تجدده عاملا خليعاً ، ولكن بعد ان امتلكه روح الله غدا نوراً مضيئاً للمسيح معليا مجده للداني والقاصي. وقل أن تجد شخصاً في مقاطعة (كورنول) بانجلترا لايعرف اسم بلي براي

ولد بلي براي في سنة ١٧٩٤ في قرية (تولفهدس) من أعمال مقاطعة كورنول بانجلترا . وقد انضم جده للميثودست بتأثير جون وسلى ، وكان أبوه أيضا مسيحياً ولكنه مات والاولاد صغار جداً . فعاش بلى مع جده حتى بلغ السابعة عشرة من عمره وعند ذلك ذهب الى ديفونشير حيث عاش عيشة الخلاعة والشر والسكر. ومما يرويه عن أيام شره هذه انه ذات ليلة كان راجعاً هو وصديق له وقد سكرا ، فوجدا حصانا ، فركباه ، ولكنهما سقطا من فوق ظهره ، ولم يكن بينهما والموت الا قليل . ولكم يروى من أمثال هذه الحادثة التي أظهر الله عنايته فيها وهو يقول «لقد كان الله طيبا لي حين كنت خادماً للشيطان وإلا لكنت الآن في جهنم »

وقد اقتيد بلى الى المسيح أو بالحري تبكت على خطاياه من قراءة نبذة ألفها جون بنيان (مؤلف سياحة المسيحي) اسمها « رؤى في السماء وجهنم »

ومن ذلك الوقت بدأ يطلب الرب والشيطان يصده بكل قواه ، ويقذف في فكره كل مايستطيع أن يقذفه من اليأس ، وبعد أن طلب الرب طويلا جربه الشيطان بقوله له انه لن يجد الرحمة . وبعد ذلك يصف اختباره إذ يقول « ولكني قلت للشيطان أنك كاذب أيها الشيطان وحين قلت ذلك شعرت كأن حملا قد أزيح عن ظهري ، وأحسست وكأن كل مشاعري حمد لله » وفي اليوم حين عاد من عمله في المساء صلى في غرفته قائلا « لقد قلت يارب ان كل من يسأل يأخذ ومن يطلب يجد ومن يقرع يفتح له وأنا أومن بذلك » وعند ذلك غمر الفرح قلبه ، حتى لم يستطع أن يحبس نفسه عن الهتاف

وبعد تجدد بلى أصبح عاملا غيوراً جداً في كرم الرب يسعى وراء خلاص النفوس ، ثم أخذ كل يوم يتعمق في الاختبارات المسيحية حتى أثمر لله الثمر الكثير وعاش في تقوى الله اذ وضع الله أمامه دائما فغدا طريقه نوراً مشرقا يضيء ويتزايد ، وقوى إيمانه ، وتعمقت محبته لفاديه حتى ملكت عليه قلبه ووجدانه وازدهى رجاؤه بنور السماء ، وعبقت من حياته رائحة المسيح

وكثيراً ماشعر بقوة محبة الله في نفسه لدرجة لم يستطع فيها أن يمنع نفسه من الرقص والهتاف العالي وكان اختباره بهجاً مضيئاً زاهياً ليس فيه للكآبة أثر حتى ان كثيرين من عظماء الناس سروا بمطالعة سيرته بينهم الملكة فكتوريا واسبرجن وغيرهما من كبار الرجال من انجليز وامريكان واسمه مضرب الامثال في (كرنول) عن الخدمة والعمل لخلاص النفوس

لم يكن في اختبار بلى كما قدمنا شيء من الكآبة التي لكثير من

المسيحيين ، ولكن كان له اختبار المسيحي المنتصر الفرح بربه ، ذلك الاختبار الذي يجذب الخطاة كما يجذب العسل النحل ، والخطاة لا يريدون الا ديانة تعطى الغلبة على الخطية . . تلك هي الديانة التي تربح نفوساً للمسيح . أما تلك الديانة المكتئبة الحزينة فقل أن تربح احداً . وقد اتفق أن كان ذات يوم في احدى الكنائس وسمع احد الخدام يعدد تجارب شعب الله وآلامهم فوقف وصفق بيديه وقال « يا أصدقائي لقد كان لي في حياتي الخل والعسل . ولكني أشكر الله لأن الرب سقاني الخل بالملعقة وأما العسل فبالدلو » . ومن شهاداته المأثورة عن الرب « لقد جعلني الرب سعيداً ولن يستطيع أحد أن يجعلني شقيا . لقد جعلني الرب أهتف ولن يستطيع احد أن يزعزع ثقتي به . لقد جعلني الرب أرقص واطرب ولن يستطيع احد ان يعثر قدمي واني لأشعر احياناً بقوة الله لدرجة اني أخال انه لو بُتِرت قدماي لما تمالكت عن القفز بما يبقى منهما »

كثيراً ما رقص بلى لما أصابه من الفرح . وفي ذات يوم وهو راجع من السوق رقص في الطريق فاسقط فستانا كان قد ابتاعه لابنته وكان يحمله في (سبت) في يده . ولكنه وُجد ورُد اليه وحين كان يعترض البعض على رقصه وهتافه كان يبرر نفسه بذكر ماعملته مريم وما عمله داود أمام الرب وبمثال المقعد في لسترا الذي بعد أن شفي كان يرقص ويطفر ويحمد الله . ومما كان يقوله « لقد جاء في النبوات أن الاعرج يرقص كالايل » وهكذا « ليس بوسعي أن أمنع نفسي عن الهتاف لله . واني وأنا أسير في الشارع أرفع رجلا وكأني بها تقول « مجداً » وأرفع الاخرى فتقول « آمين » وهكذا

تستمر رجلاي طول مدة مسيري » وحتى حين ماتت زوجته طفق يرقص في الغرفة وهو يقول « لقد ذهبت (جوني) العزيزة ! مبارك الرب ! لقد انضمت (جوني) العزيزة إلى الملائكة الممجدين ! مجداً ! مجداً ! مجداً ! » وكان يعتقد أن الآلام من علامات رضى الله الممتازة وان على المسيحيين أن يفرحوا لها

ولأولئك الذين اعترضوا على هتافه قال مرة « لو وضعت في برميل لهتفت مجداً من ثقب البرميل ! مبارك الرب ! »

وذات مرة سمع أحد القسوس يقص على الناس كيف ماتت إحدى النساء التقيات وهي تهتف فصرخ بلى « مجداً لله ! إذا كانت امرأة مائتة تهتف لله فاظن ان على الرجل الحي أن يهتف » . .

وإذ سمع عن موت أحد المبشرين قال « لقد نجا من المرتابين ، وانضم لجماعة الهاتفين »

وكان بلى حين يقابل أي شخص أول مايسأله عن حالته الروحية ، وإذا اطمأن على ذلك كان يهتف فرحا . وكان يهتف فرحاً عند سماعه عن خلاص نفوس في أي مكان

— ٢ —

وككل رابحي النفوس كان بلى يقضي الاوقات الطويلة في الصلاة. وقبل ان يذهب الى اي مكان كان يطلب من الله ان يمنع الشيطان عن ان يخدشه وقد كان يخاف من الشيطان ، وبذا استطاع ان يقلم اظفاره . ومرة إذ جرب من الشيطان قال « ما احمقك ايها الشيطان . ان لي ثمانية وعشرين سنة

وانا اقاتلك وانتصر عليك ، وسوف انتصر ايضاً » ومرة كان قد زرع حقل بطاطس فلم ينتج حقله محصولا . فجر به الشيطان ملقياً في فكره ان الله لايحبه والا عطاه محصولا أحسن ولكن بلى إذ ادرك ان تلك تجربة الشيطان قال له « ان يمنزلى شهادة مكتوبة عن اخلاقك . انك كاذب من البدء »

ثم قال له انه حين خدمه لم يكن له سوى الخرق البالية والبؤس . و بدأ يعدد بركات الرب عليه ، فذهب الشيطان وكأنه أصيب بعيار ناري

واذ علم بعض الاشقياء باعتقاد بلى الاكيد بالشيطان ، وخوفه منه ، أرادوا أن يرعبوه . فاختفوا بقرب الطريق ليلا وجعلوا يرسلون أصواتاً منكرة ولكن بلى لم يعبأ بهم وسار في طريقه وهو يرتل وأخيراً خرج أحدهم واقترب من الطريق وقال « أنا الشيطان وراء ذلك السياج يابلى براي » فقال بلى «مبارك الرب! مبارك الرب! ما كنت اعلم انك بعيد بهذا المقدار!»

ولم يكن بلى يصلى كثيراً فقط ولكن كان له ايمان شديد بالرب »

وكثيراً ما استجيبت صلواته بطرق غريبة . من ذلك ان ابنه اصيب يوماً بمرض شديد ، فطلبت منه زوجته ان يذهب لاستدعاء الطبيب ، فاخذ كل ماعنده من النقود وهو مقدار ١٨ بنساً أو نحو ثمانية قروش وذهب وفي طريقه صادف رجلا فقيراً اضاع بقرته ، وكان يسعى لجمع مبلغ يشتري به أخرى فأثرت قصته في قلب بلى تأثيراً شديداً فأعطاه كل مافي يده . واذ لم يكن له ما يستدعى به الطبيب ذهب وراء سياج وأخبر أباه السماوي بكل ماحصل وطلب منه شفاء الطفل . وتم له ما أراد إذ شفى الله ابنه حالا . . .

ومن لطيف ما يروي عنه انه احتاج مرة الى النقود اذ كان قد مضى

عليه مدة طويلة لم يقبض فيها مرتبه وكان لديه في المنزل بطاطس ولحم إلا ان الخبز كان قد نفد. فذهب الى رئيسه في المنجم واقترض منه عشرة بنسات وفي طريقه وهو عائد رأى أسرتين اكثر عوزاً للنقود منه فاعطاهما كل ما بيده وذهب صفر اليد. فغضبت زوجته لعمله اشد الغضب ولكنه اكد لها بان الرب لن يتركه في الدين طويلاً، وسرعان ما ارسلت اليه احدى السيدات جنيهاً!

وكان بلي يقول اني اشتغل لحساب شركة كبيرة ـ الآب والابن والروح القدس ـ ولي ثقة اكيدة بهم، ومما يؤثر عنه انه قال «اذا كان بلي يجد عملاً فهو يشكر الله، واذا لم يجد فهو يرتل لله ايضاً، اتظنون ان الله يترك بلي يموت جوعاً، كلا والف كلا، بل لابد من شيء من الدقيق في قاع البرميل لبلي، اني لاثق بيسوع، وطالما انا واثق به فهو يميت ميخائيل رئيس الملائكة جوعاً قبل ان يميت بلي»!..

لقد كان بلي يشتغل كثيراً جداً، وفي بعض الاحيان كان يقضي عشرين ساعة من الاربعة والعشرين في بناء اماكن للمجتمعات بيديه، وذلك بعد قضاء مدة عمله العادي في المنجم، ومما يروى عنه في ذلك انه ذهب في احدى المدن وكان أكثر سكانها صيادين ليجمع نقوداً لبناء احدى كنائسه ولكن لان موسم السمك كان رديئاً جداً لم يستطيع أن يجمع شيئاً فصلى هو وآخرون واستجاب الرب الصلاة وجمع الصيادون السمك بالآلاف تيلو الآلاف

لقد عمل بلي كثيراً لخلاص النفوس. وكان عمله حضاً اكثر منه تبشيراً ولو انه كثيراً ما تكلم في اجتماعات. وكان عمله الاكبر في ربح النفوس خارج

المنبر ، وكان هذا العمل شغله الشاغل . وكان في الصباح قبل ان يذهب لعمله في المنجم يصلي قائلاً « يا رب اذا كان ولا بد من موت احد اليوم فلا تكن انا . لاتدع احداً من هؤلاء العمال يموت لانهم ليسوا سعداء مثلي ، وانا اذا مت فاني ذاهب الى السماء » .

وذات مرة بينما كان يسير فوق احدى التلال خيل له بان الرب قال له « سأعطيك كل من يسكن فوق هذا التل » فزار ثلاث أسرات كانت تسكن ثلاثة منازل هناك فاخذ يبشرهم و يصلي معهم حتى أتى بهم الى المسيح جميعاً ، ولكن بلي شكا الى الرب قائلاً ان ليس في التل سوى ثلاثة منازل والرب أراه أنهم كثار ، و بعد ذلك بوقت طويل تأسست كنيسة فوق التل ، وحين سمع بلي بتأسيسها زارها ، ولكنه أسف اشد الاسف حين علم ان راعيها من كنيسة انجلترا العليا ، (وهو المذهب الانجليكاني الاقرب الى الكثلكة) ولكنه فكر في وعد الرب له ان يعطيه من في هذا المكان ، و بعد قليل من ذلك تجدد خادم الكنيسة الذي كان من مذهب راعيها فغضب لذلك الراعي ، ولكنه بعد قنيل تبكت على خطيته وسلم نفسه للمسيح ، وذات مساء في نصف الساعة الحادية عشرة بينما كان بلي ذاهباً الى فراشه أراه الرب ان يذهب الى التل فذهب بالعربة ووصل التل في الصباح ، فسمع الراعي شخصاً قادماً الى التل يرتل وعلم انه بلي براي ، فاستقبله هو وامرأته وخدامه وكان وقت فرح شامل للجميع ، ثم زار بلي المنازل الاخرى ورأى اهلها جميعاً متجددين ، وكان فرحه أعظم من ان يوصف

لقد كان بلي قبل تجدده مدخناً كبيراً وكان يفضل ان يذهب الى المنجم

من غير غداء من ان يحرم من غليونه ، ولكن بعد خلاصه خلصه الرب من تلك العادة خلاصاً تاماً جعله يلقي عنه الغليون و يندد بشرب الدخان بكل طرقه ، وكثيراً ما كان يقول « لو ان الله كان يريد ان الناس يستعملون النشوق لجعل لهم انوفهم مقلوبة ولو انه يريدهم يدخنون لجعل لهم مداخن خلف رؤوسهم. ان المهندس الذي يبني بيتاً بحيث ان الدخان يخرج كله من بابه الامامي لهو مهندس قليل الدراية . وطبعاً لن يكون الرب اقل دراية من الانسان » وفي ذلك شيء كثير من الحق ولم يندد بلي بالدخان وحده ، ولكنه وقف في صف الاعتدال . وله في ذلك « يضع الناس الشباك لاصطياد الطيور ، و يضع الشيطان زجاجات النبيذ والجعة لاصطياد الجهال »

وكان بلي يندد باللباس العالمي والاهتمام الزائد بالعالميات . وقال مرة « اني لافضل أن اذهب الى السماء ماشياً من ان اذهب الى جهنم في عربة فخمة » وقال لبعض النساء اللائي كن يستعملن الازهار الصناعية لتجميل ذواتهن « انا لا يهمني أي حمل تضعن من تلك الازهار فوق رءوسكن ، اذا كان في ذلك فائدة لكنّ . ولكني اعلم وانتن تعلمن انه ليست هناك فائده من وراء ذلك . وكل الناس يعلمون أن الازهار لاتنبت الا في التربة اللينة » وقال في معرض الكلام عن الصيام « لو كان اعضاء الكنائس يقمعون اجسادهم بدل ان يشبعوها لكان لهم حظ أوفر من السعادة ، وحين سأله أحدهم عن حالة العالم قال « لست اعلم لان لي اثني عشرة سنة وانا فيه »

وكان صوت بلي رديئاً ، ولكنه كان يرى مرتلاً ابداً ، وكان يقول « نعم مبارك الرب !؟ اني استطيع أن ارتل ، ان أبي السماوي يحب ان يسمع

ترتيلي كما يسمع ترتيل غيري ، ان ابي يسمع الغراب كما يسمع البلبل »

وقال مرة في احد الاجتماعات وهو يدشن كنيسة جديدة « لقد اعطاكم الرب كنيسة جميلة تعبدون فيها ، وانه ليطلب الآن أثاثاً جميلاً لها لان الاثاث الحقير لا يليق بالمكان الجميل ، وأثاث بيت الله الجميل نفوس مقدسة له . علينا أن نتجدد ونتطهر ونختم له وعند ذلك لا نكون أثاثاً صالحاً لبيت الله هنا بل اثاثاً صالحاً للسماء »

وعند قرب مماته قال له الطبيب انك موشك على الموت . فقال « مجداً مجداً لله ! عما قليل ساكون في السماء » ثم اضاف الى ذلك « وحين اذهب هناك هل ابلغ أهل السماء تحياتك يا دكتور ، وهل اقول لهم أنك لا حق بهم ايضاً ؟ » وكان لهذه الكلمات تأثير كبير على الطبيب ، وكانت آخر كلمة على لسان بلي « مجداً » ، وقبل مماته بقليل كان يقول « ماذا ! انا اخاف الموت ! انا اهلك ! كيف ذلك ومخلصي غلب الموت ، انى لو ذهبت الى الجحيم لصرخت مجداً مجداً لمخلصي المبارك حتى اجعل تلك الهوة العميقة ترن بهذا الهتاف ، فيأتي الشيطان ويقول « يا بلي ليس هناك مكان لك فلترجع ، وعند ذاك اصعد للسماء هاتفاً مجداً ! حمداً لله ! »

ورقد بلي في المسيح سنة ١٨٦٨

جون فلتشر

JOHN FLETCHER

— ١ —

« لقد كان فلتشر قديساً ، أشد ما يستطيع مخلوق أن يكون سماوياً ». ذلك ماقاله عن صاحب الترجمة اسحق تيلر أحد معاصريه

وقال عنه الدكتور دكسن « أنا أعتقد أن فلتشر أقدس انسان وطأ الأرض منذ العصر الرسولي »

وقال وسلى مؤسس الميثودست « ربما كان فلتشر أكثر انسان رأيته في الثمانين سنة من عمري خلواً من كل عيب في كل امريكا وانجلترا » ولذا اختار وسلى صاحب الترجمة ليكون خلفاً له في الأخذ بيد الميثودست بعد موته ، ولكن فلتشر سبقه الى الراحة الأبدية ولو أنه كان أصغر منه سناً

— ٢ —

على شواطىء بحيرة ليمان الجميلة التي طالما تغني بها الشعراء ، وفي بقعة من اجمل بقاع الدنيا بقرب مدينة جنيفا بسويسرا ولد فلتشر سنة ١٧٢٩ من ابوين من النبلاء كانا محترمين كل الاحترام

وكان في صغره حساس الضمير . روى عنه وسلى انه وهو في السابعة من عمره ارتكب خطأ فقالت له مربيته « انك ولد شرير . اولا تعلم أن الشيطان يختطف الأولاد الأشرار ؟ » فتأثر من ذلك كثيراً ، وابتدأ يصلى ، ولم ينقطع عن الصلاة حتى اعتقد أن الله غفر له . ومن ذلك الوقت كان مسلكه لاتشوبه شائبة .

ويروي فلتشر عن صغره كثيراً من الحوادث التي خلصته عناية الله فيها من موت محيق. ثلاث مرات نجا من الغرق ، ومرة سقط من علو كبير ولكنه نزل على مونة لينة . وهكذا يحفظ الله حياة أولئك الذين يختارهم لجلائل الأعمال

ولقد تعلم فلتشر تعليماً راقياً في جامعة جنيفا حيث حصل على أقصى درجات الشرف . و بعد ذلك غادرها الى ليفتزبرج ليدرس الالماني والعبراني والرياضة العالية

ومن صغره أحس بدعوة للتبشير ، ولكنه بعد ذلك قطع كل أمل بدخول الخدمة الدينية . وقال في ذلك « في السابعة من عمري -- على ما أذكر — بدأت أشعر بمحبة الله منسكبة في قلبي ، وعقدت العزم على أن أسلم نفسي له ولخدمة كنيسته إذا كنت اوجد أهلا لها . ولكن الفساد الذي في العالم ، وفساد قلبي أضعف ذلك العزم ، ومحا تلك الحروف الاولى التي خطتها يد النعمة على القلب »

بعد ذلك انتظم في سلك الجندية ، فالتحق بجيش البرتغال في الحرب ضد البرازيل ، ولكن الله لم يشأ لقديسه المختار ان يخوض معامع القتال ، وان يسيل الدماء بيديه ، ذلك أن حادثة حدثت له منعته من الذهاب للحرب إذ قبل ذهابه اسقطت خادمته على رجله غلاية شاي حرقتها حرقا بليغاً . و بعد ذلك الحقه عمه بجيش هولاندا بوظيفة كولنيل ، ولكن الحرب في ذلك الوقت كانت قد انتهت ، وهكذا قطع عليه الله تدبيراته

— ٣ —

وفي سنة ١٧٥٢ ولى فلتشر وجهه شطر انجلترا ليدرس اللغة الانجليزية وهناك اشتغل كمرب لأولاد أحد أشراف الانجليز واسمه توماس هل . وفي أثناء اشتغاله بذلك تجدد تحديداً حقا أثر حلم مخوف عن يوم الدينونة كشف له عن حالته المرتدة وقد قال يصف ذلك « لمدة أيام عديدة ظللت خائر العزم، يملأ نفسي الحزن والغم وأنا في ذلك لا أستطيع أن اقوم بعمل من الأعمال . وبينا أنا كذلك سمعت عن المثيودست عنهم أنهم أناس لاعمل لهم سوى الصـــلاة صباح مساء فعقدت العزم على الانضمام اليهم » وبعد أن سمعهم قليلا أحس بأنه ينقصه تغيير داخلي ينيله السعادة وبعد أن سمع أحد مبشريهم واسمه جرين — اقتنع بانه كان في جهل عن الايمان الخلاصي ، ولو أنه كان قد نال جائزة الجامعة عن المباحث اللاهوتية

وكشف له الله حالته الخاطئة فكتب في يوميته في ١٢ يناير سنة ١٧٥٥ « كل بري خرق نجسة . اني لشيطان ولو اني من طراز أرقى منه قليلا . واذا لم أتجدد قبل مبارحتي للعالم فجهنم لاشك مقري »

وفي ٢١ يناير يقول « بدأت أكتب اعترافا بخطاياي وبؤسي وشقائي وضعفي ، مع العزم بطلب المسيح الى الموت . ولكن عملي يصدني عن ذلك، ولذا فليس لي رغبة في متابعة العمل »

وفي ٢٣ يناير — وكان يوم صيام له — جر به الشيطان بالقاء اليأس في قلبه لدرجة فقد معها كل أمل

« واذ استمررت في تضرعي الى الساعة الواحدة بعد منتصف الليل

فتحت الكتاب فوقع نظري على هذه الكلمات : «الق على الرب همك فهو يعولك» وإذ طربت لذلك ركعت لأطلب الى الله أن يزيح حملي عني . وأخذت الكتاب وفتحته ثانية فوقع نظري على هذه الكلمات . لا تخف أنا معك لا ترتعب . فكبر في الرجاء ، وأحسست بقوة على الخطية وجهنم وكل الآلام

وعلى هذا الوعد اطبقت توراتي ، و بينما أنا أطبقها استوقفت نظري تلك الكلمات « كل ماتطلبونه من الأب باسمي أنا أفعله» . فطلبت من الله أن يحفظني في النعمة لأخدم حتى الموت ، وذهبت الى فراشي قرير العين

و بعد ذلك بقليل طلب من الرب أن يتملك على قلبه تملكا أتم ، و يعطيه اظهاراً أوفى لمحبته و إذ كان على وجهه يصلي بحرارة نظر بعين الايمان فرأي المخلص على الصليب . وهنا تكسرت عن نفسه كل الربط التي كانت تربطها . و بدأت نفسه تتنسم نسيما أنقى . وأحس بالخطية تحت قدميه وأنه ظافر بقوة الرب . ومن ذلك الوقت سار في طرق الرب . و إذ شعر بان وقت فراغه لايكفي لله وضع لنفسه قاعدة أن يقضي من كل أسبوع ليلتين يحييهما بالتأمل والدرس والصلاة

— ٤ —

وقد كان من تواضع فلتشر وانكاره لذاته أنه لم يكتب ولم يذكر شيئاً عن نفسه ، وكانت معظم كتاباته عن المحبة الكاملة ، وكان يشارك وسلي في الاعتقاد أن الناس — وان كانوا غير كاملين في المعرفة وفي أمور أخرى — فان من المستطاع لهم أن يكملوا في المحبة ، وأن يحبوا الله من كل قوتهم

وفكرهم . وكان يؤمن أن وعد المعمودية بالروح القدس هو للمؤمنين اليوم كما كان لهم يوم الخمسين

وقد وصفت احدى النساء التقيات اختباراً للمتشر في أحد الاجتماعات في سنة ١٧٨١ فقالت :

« دخلت الغرفة حيث كان الكل مجتمعين فرأيت رجل السماء يرنم بحرارة لم أر لها مثيلا الترنيمة التي جاء فيها

«قف بجانبنا يا يسوع المعين واعطنا أن نرى السماء وأن نراك عن يمين الآب فنسلم النفوس اليك »

* * *

يا أبي يا أبي اسمع . وارسل المركبة النارية ولتظهر خيول اسرائيل ، لتقذف بنا نحو السماء

* * *

اذ نموت عن يسوع ، بالعذاب وبالنار وفي بحار الدماء ولكننا نخرج منها ظافرين لنغوص في أعماق الله

وبعد ذلك سكب فلتشر كل نفسه في الصلاة والتسبيح والارشاد الروحي ، وكل كلمة كانت تخرج من فيه كانت مصحوبة بمسحة من فوق

ثم بدأ يشرح كيف امتلأ المؤمنون من روح الله في يوم الخمسين ، ويبين واجب المؤمنين الآن في اختبار معمودية النار ، وأن يوم الخمسين هو فتح عصر الروح — وعد الآب العظيم ، وأن المجد الأخير الذي كان يعتقد

بقربه يفوق كثيراً يوم الخمسين . وكما شهد أولئك لنعمة الله هكذا علينا أن ننشر لهيب المحبة .

وبعد ترنيم ترتيلة صرخ « آه ! ما أعظم الامتلاء بروح الله ! اني أريد أن امتلىء ! يا أصدقائي انصارع حتى ينسكب روح الله علينا ! »

« ثم نظر الي وقال ايتها الاخت هل تتعاهدين معي اليوم أن تصبي للامتلاء بالروح ؟ هل تشهدين ليسوع » فاجبته والدموع ملء العينين « بقوة يسوع أفعل » فصرخ « مجداً لله ! يارب قو أمتك لتحفظ هذا العهد للموت »

ثم قال لنا جميعا : اخوتي واخواتي الأعزاء ، ان الله هنا ! وأنا أشعر بحضوره في هذا المكان ، ولكني أخفى وجهي في التراب لأني خجلت أن أذيع ما عمله لي . لقد أحزنت روحه سنين طوال ، ولكنه رد نفسي . وفي يوم الأربعاء الماضي تكلم لنفسي بهذه الكلمات . احسبوا أنفسكم امواتا عن الخطية ولكن أحياء لله بالمسيح يسوع ربنا . وقد اطعت صوته . وانى أطيعه وأصرح لكم لمجد محبته انى تحررت من الخطية . وانى لفرح إذ أنا أعلن ذلك لأكون شاهداً لمجد نعمته . انى ميت عن الخطية وحي لله بيسوع المسيح ربى وملكى

وها أنا قد صرحت بذلك أمامكم . وسأعترف بربى في كل العالم . وأعلن لكم أمام الله وأمام الثالوث الأقدس أني الآن ميت عن الخطية . ولست أقول أني مصلوب عن المسيح لأن البعض قد يرى في ذلك موتا تدريجياً ولكني أقول أني ميت عن الخطية وحي لله وتذكروا أن ذلك كله

انما بيسوع المسيح ربنا . هو نبي وكاهني وملكي — وهو قداستي المستقرة في داخلي — وهو الكل وفي الكل لي . واني أنتظر تحقيق الصلاة التي قال فيها . ليكون الجميع واحداً كما أنك أنت أيها الآب في وأنا فيك ليكونوا هم أيضا واحداً فينا

آه من لنا بمعمودية النار ! من لنا بذلك اللهيب ! من لنا بملء أزمنة الروح القدس ! صلوا صلوا صلوا لذلك . فذلك يجعلنا بقلب واحد ونفس واحدة . صلوا لأجل المواهب . اعترفوا لسيدكم الملكي . انما المؤمن بلا مواهب كملك متنكر يظهر كأحد العامة وأنتم ملوك وكهنة لله ! فالبسوا ثيابكم ومنطقوا احقاءكم وعليها قدس للرب !

و بعد ذلك بايام سمعت المستر فلتشر يبشر عن ذلك الموضوع داعياً جميع الذين شعروا بحاجتهم الى فداء كامل ليؤمنوا الآن لينالوا هـذا الخلاص العظيم . ثم قال : « كما تعاملون دائنيكم حينما تكونون قد وفيتم كل ما عليكم من الدين إذ تحسون بانكم احرار من دينكم هكذا ليكن حسابكم مع الرب . يسوع قد دفع الكل وهو قد دفع عنكم . واشترى غفرانكم وقداستكم . ولذلك ياتي لكم امر الله ان احسبوا انفسكم امواتاً عن الخطية ، وانتم احياء لله من هذه الساعة

ابدأوا : ابدأوا بان تحسبوا . لا تخافوا . آمنوا آمنوا . آمنوا ! واستمروا مؤمنين دائماً . هكذا تستمرون احراراً . لان النعمة تحفظ كما تقبل بالايمان وكل من يحفظ تلك النعمة و يستمر فيها بالايمان تتحول الى لهيب في صدره

وتحصره على ان يعترف بفمه بالرب — مثيكه يسوع وباذاعة لهيب محبته يستطيع ان يخلص الى التمام

ولقد اطال التعليق على هذه الكلمات « حيثما كثرت الخطية ازدادت النعمة جداً » فسأل وكيف كثرت الخطية ؟ الم تتملك على كل نفسك ؟ أو لم تكن اهواؤك وطباعك وميالك كلها شريرة غير منتظمة؟ ألم تتملك عليك الكبرياء والغضب وحب الذات وعدم الايمان ؟ وحين جاهد روح الله معك الم ترفض كل تبكيتاته وتصم الاذن عن سماع صوته. اذن يا اخوتي فقد كنا عبيداً للخطية وكنا احراراً من البر . ولكن الآن وقد اعتقنا من الخطية فقد اصبحنا خداماً لله . والقداسة سوف تغمر نفوسنا حتى انه منذ الآن تخضع عواطفنا وطباعنا لذلك الذي يستوي على عرش قلوبنا مجدداً كل شيء . وكما قاومنا الروح القدس في الماضي هكذا الآن تكون لنا قوة لمقاومة كل روح شر وكل هجمات الشيطان

وعند ذلك رفع المستر فلتشر يديه وصرخ « من يريد أن يخلص ؟ من يصدق الخبر ؟ انتم يا من تحملون لقب المؤمنين على غير استحقاق من هو المؤمن ؟ اهو من يؤمن ببعض ما تكلم به الله ؟ بل هو من يؤمن بكل ما يخرج من فم الله . هذه كلمات الله لكم : حيثما كثرت الخطية ازدادت النعمة جداً . وكما لم يكن فيكم شيء صالح بالطبيعة هكذا لا يبقى فيكم شيء دنس بالنعمة . فهل تؤمنون بهذا ام انتم نصف مؤمنين ؟ تعالوا . يسوع مقدم لكم كمخلص كامل . خذوه يجعل منكم قديسين كاملين أنتم يا انصاف المؤمنين الا تزالون تدافعون عن قتلة الرب ؟ أيًّا من هذه الشرور تريدون ان تستبقوا

في صدوركم ؟ اهو الغضب . ام الكبرياء ام الاعتداد بالذات أم عدم الايمان لا تخدعوا انفسكم فيما بعد والتأتوا بهذه الاعذار الى الرب وتدعوه يذبحهم »

وهذه الكلمات تصف لنا روح فلتشر والاختبارات التي جاز فيها . فهو عاش وتكلم بالروح بكيفية قل أن تجدها نظيراً . وكان يخشى الاعلان عن نفسه كثيراً جداً

— ٥ —

وكان فلتشر محباً لدرس النبوات وكان ممن يعتقدون الاعتقاد الشديد بمجيء المسيح قبل الالف سنة وكان قليل الاكل جداً وكان يقصر اكله على البقول والزبدة واللبن . وكانت كل دقيقة من وقته تنفق في شيء نافع وكان لا يُرى متحدثاً الا عن مواضيع مسيحية

وحوالي سنة ١٧٥٦ انضم فلتشر الى المثيودست و بعد ذلك بقليل ابتدأ يفكر في الانتظام في سلك الخدمة . وفي سنة ١٧٥٧ رسم قسيساً في كنيسة انجلترا (ولم يكن في ذلك الوقت مذهب المثيودست قد انفصل عن هذه الكنيسة) ومن ذلك الوقت أصبح ساعد وسلي الايمن وأعظم عامل معه . ولثلاث سنوات بشر بمسحة وقوة عظيمتين في جمعيات المثيودست وحيثما كان الله يفتح له الباب للتبشير . وكان تبشيره مروعاً للخطاة لانه كان يظهر لهم حالتهم تماماً . و بعد ذلك اشتهر امره واصبح صديقاً لوسلي وهو يتفيلد والمثيودست عامة . وفي سنة ١٧٦٠ عين راعياً للكنيسة الانجيليكانية في مدلى (Madeley) حيث استمر الى موته .

وقد قضى السنوات العشر الاولى في مدلى يزور الناس و يدرس الكتاب

المقدس والكتب الدينية درساً عميقاً وكان ذلك بمثابة اعداد له للموقف الذي وقفه بعد ذلك مدافعاً عن الميثودست. ولم يكن وسلي راضياً عن ملازمته لمدلى ولكن حدث بعد ذلك ان تأسست جمعيات عدة حوالي تلك البلدة فكان فلتشر يجول مبشراً لها وكانت الناس تهرع لسماعه حتى غصت الكنائس بالحاضرين ، وفي سنة ١٧٦٥ زار بات و برستول و بشر في كنائس عظيمة كانت أقامتها اللادي هنتنجتون وقد كتبت عنه مرة « تأثير تبشيره عميق فهو في وعظه رسولي »

وحين كان له من العمر اربعون سنة زار مسقط رأسه في سويسرا و بشر هناك بقوة عظيمة . وكان أينما حل ينظر اليه كمخلوق فوق البشر . وحدث مرة ان عجوزاً سويسرية بكت لانه لم يكن في وسعه ان ينتظر هناك طويلاً قائلة يالشقاء حظ بلادنا ! في حياتي كلها لم تخرج تلك البلاد من الناس الا ملاكاً واحداً . والآن لا بد لنا من فقدانه ! »

وقد تعين فلتشر لبعض سنوات مدير لكلية تريفيكا Trevecca اللاهوتية التي انشأتها اللادي هنتنجتون لتخريج خدام الكلمة ، وفي تلك الكلية كانوا يعتبرونه كملاك . قال عنه ناظر تلك الكلية « لقد كان ينظر اليه كملاك من الله . وليس بوسعي ان أصف مقدار الاجلال الذي كان يقابل به ». ثم يصف هذا الناظر كيف انه عند ما كان فلتشر يزور الكلية كان الطلبة يفقدون كل لذة في الدروس و يطوحون كل شيء آخر ليسمعوه وهو يقول لهم ان الامتلاء بالروح القدس ألزم للخدمة من كل علم أو درس وانه هو المؤهل الوحيد لهذه الخدمة . . وعند ذاك كان يقضي مع الطلبة

الساعات الطوال جاثياً على ركبتيه طالباً امتلاءهم بالروح القدس . وفي احدى هذه المرات امتلأ من الروح القدس لدرجة صرخ معها قائلاً « يا إلهي كف يدك لان الاناء أوشك ان ينكسر » ولكنه بعد تلك الصلاة شعر انه اخطأ وان الواجب كان عليه ان يصلي حتى يوسع الله الاناء .

وفي أحد المؤتمرات في سنة ١٧٨٤ بكى جميع المبشرين الذين كانو حاضرين وتأثر وسلي تأثراً عميقاً جداً حينما طلب فلتشر ان يضم اسمه الى قائمة الخدام المتقاعدين . وفي السنة التالية فارق الحياة .

ولا يظن القاريء ان رجلاً في طهارة فلتشر كان خلواً من التجارب . فلقد ذكر هو لوسلي كيف ان الشيطان قد جرب به عديد المرار لكي يقضي على حياته بيده . وكان بطبيعته ناري المزاج حتى اضطر لمقاومة طباعة ان يبكي و يصلي الليالي الطوال وفي بعض الاحيان كان ينطرح على أرض غرفته في أشد الالم والحزن وهو يطلب الغلبة من الله . ولكن على الرغم من ذلك كان معروفاً بالدعة والحلم . وقد قال وسلي في (سيرة فلتشر) التي كتبها « لمدة عشرين سنة قبل موت فلتشر لم يره احد قط محتداً ولا سمعه أحد ينطق بكلمة غضب أو تبدر منه بادرة تهيج أو يسمع منه كلمة تجرح احساس الغير »

فرنسز ردلي هافرجال

FRANCES RIDLEY HAVERGAL

قلَّ أن تجد حياة تركت وراءها تأثيراً أقوى وأريج أكثر تضوعاً من حياة فرانسز ردلي هافرجال تلك الحياة المقدسة ، الفياضة بالمواهب المكرسة . ويكفي أن نذكر أن هافرجال مؤلفة الترنيمة التي مطلعها

« دمي الثمين قد أرقت من أجلك »

والترنيمة .

« احفظ حياتي ليكون تكريسها يارب لك »

وغيرهما من آلاف الترانيم التي كانت واسطة بركة للكثيرين من مرنميها في العالم أجمع . ثم هي فوق ذلك مؤلفة لكثير من الكتب الروحية التي كانت واسطة لتعميق الحياة الروحية في كثيرين من أولاد الله .

وقد كان المسيح لهافرجال «حقيقة لامعة حية» ، « أعز وأقرب من أقوى الربط الأرضية » وقد قالت في أواخر أيامها « كان همي الأكبر أن أمجده في كل خطوة من طريقي »

كانت هافرجال أصغر أطفال والدين مسيحيين. ولدت في سنة ١٨٣٦ في (استلى) من أعمال (ورسستشير) بانجلترا وكانت في طفولتها جميلة ممتلئة من الحياة والنشاط . وقد استطاعت أن تقرأ الكتب البسيطة وهي في الثالثة من عمرها . وفي الرابعة استطاعت أن تجيد الخط وتقرأ الكتاب المقدس قراءة صحيحة . وكان أبوها موسيقياً بارعاً ، كما كان يقرض الشعر . وقد أتيح

لهافرجال وهي في سن التاسعة أن تكتب لصديقاتها خطابات مطولة منظومة نظماً محكماً ..

وفي صغرها كانت ترنم ترنيما حلواً . وطالما كانت تجلس على ركبتي والدها وهو يتلو عليها قصص الكتاب . ولكنها لاتذكر أي تأثير حقيقي عن الديانة حتى بلغت السادسة ، وفي تلك السن تبكتت كثيراً على أثر موعظة سمعتها عن روعة جهنم ويوم الدينونة وبقيت الموعظة في فكرها ليل نهار وهي لاتخبر أحداً وهي لاتسعى الى تبديد روعها إلا بالصلاة . وقضت على هذه الحال سنتين حتى ذهبت الى قسيس الكنيسة التي كانت تنتمي اليها أسرتها تشكوه روعها، وتكشف له عن خبيئة نفسها. ولكنه علل ذلك بتأثير تغيير سكن الأسرة ، وتغيير الوسط الذي كانوا فيه وظن أنها تشتاق لصحبها القديم ، ونصحها بان تكون طفلة صالحة ، و بأن تصلي . و بعد تلك النصيحة الفارغة كظمت مشاعرها — وسهام التبكيت تعمل في داخل قلبها — لمدة خمس سنوات . وماتت أمها وهي في الثانية عشرة ، فكانت هذه ضربة كبرى عليها . و بعد ذلك ذهبت الى مدرسة كانت تديرها إحدى السيدات المتعلمات بروح الله اسمها مسز تيد ، كان من امتلاء تلك المديرة إضرام لهيب نهضة في المدرسة خلص فيها كثير من البنات « وأضاءت وجوههن بنور سماوي » وكان ذلك مما عمق تبكيت هافرجال و بعد بحث شاق عن طريق الخلاص استرشدت معلمة اسمها مس كوك وقالت لها انها مستعدة ان تضحي بكل شيء في سبيل الوصول الى المسيح ، واتخاذه مخلصاً فقالت لها مس كوك « اولا تستطيعين أن تلقي بنفسك بين يدي المخلص

حالا » وقد وصفت هافرجال اختبارها عند ذلك اذ قالت « وفي الحال بزغ عليّ نور الرجاء بزوغاً جعلني في صمت ذاهل واني لاذكر كيف خفق قلبي إذ ذاك ، حقاً اني لا استطيع. هكذا كان جوابي . ثم تركت المعلمة وركضت الى مخدعي لافكر في الامر . والقيت بنفسي على ركبتي لاحقق هذا الرجاء الذي أشرق عليّ . وكنت سعيدة جداً . وأحسست بأني أستطيع أن ألقي بنفسي بين يدي يسوع ، واعتمد عليه في كل ما لدي الى الابد »

وفي نفس ذلك المكان وفي تلك اللحظة سلمت نفسي لمخلصي بدون خوف أو رهبة . واعتمدت عليه »

* * *

من ذلك الوقت عاشت هافرجال عيشة مسيحية صادقة . . . ثم ذهبت إلى الكليات في انجلترا والمانيا لتتم علومها ، وكانت تحرز أقصى درجات الشرف والتفوق . ولقد ضربت بسهم وافر في اللاتيني واليوناني والفرنسي والالماني والعبراني . .

وحين كانت تدرس بالمانيا كانت هي الفتاة الوحيدة التى تعرف عن خلاص الرب معرفة حقة في المدرسة كلها . . وذلك مما جلب عليها استهزاء رفيقاتها ومضايقتهن لها . ولكنها في ذلك ثبتت للرب ، وشهدت له أمام زميلاتها ، واستطاعت بعد زمن أن تكسب عطف الكثيرات منهن .

وقد رجعت في سنة ١٨٥٤ لانجلترا الى بلدة ورسستر حيث تثبتت في كنيستها . وحين وضع الاسقف يديه على رأسها وصلى « ارحم يارب ابنتك هذه بنعمتك السماوية حتى تستمر لك الى الابد ، وتنمو يومياً في روحك

القدوس أكثر فأكثر الى أن تأتي الى ملكوتك » عند ذلك تأثرت هي أيما تأثير وقد قالت عن ذلك « اذا كنت في حياتي تبعت صلاة فتكون هذه الصلاة ، لاسيما حينما وصل الى القول : لتستمر لك الى الابد» وقد كانت تذكر يوم تثبيتها كل سنة لتقضيه في الصوم والصلاة وتجديد العهد مع الرب

وقد ظهرت على هافرجال مواهب الموسيقى والترنيم . وكرست هذه المواهب لله تكريساً تاماً حتى طلبت منه الارشاد في كل كلمة تخطها ، حتى في وضع النغمات .

ولئن كانت حياتها حياة مسيحية حقة ، ولئن كان اسمها بدأ يعرف كمؤلفة لكثير من الكتب الروحية ولئن كانت تبذل النفس وما أوتيت من قوة في خدمة الرب من زيارة للمرضى ، ولئن اشتاقت أعظم الشوق لدرس الكلمة حتى استظهرت منها اجزاء كثيرة عن ظهر قلبها ، بيد أنها رغم ذلك تاقت الى اختبار أعمق وأغزر — الى أن تمتلىء بالروح القدس . وفي ذلك الزمن — وهي في الثانية والعشرين من عمرها — كتبت الترنيمة « دمي الثمين قد أرقت من أجلك » تعبر بها عن شوق قلبها العميق الى أن تكرس ذاتها تكريساً أوفى للرب. ولكم صادفت في سبيلها الى ذلك الاختبار الذي كانت تستحث السير اليه من ظلام . فكتبت مرة تقول « لقد كنت أخال أني وصلت في اختباري الى أرض سهلة استطيع أن أسير فيها في النور لايعترض سبيلي بارز الصخور ولا سحيق الاودية ، أتعثر في هذه واتصعد تلك ولكني أراني محمولة الى متاعب الطريق الاولى وأغلب ظني أن سبب كل هذا التعب اني لا أكرس ذاتي لله تكريساً كلياً بلا تحفظ . والى ان

أفعل ذلك لن أتذوق السلام . اني على ثقة من ذلك » . و بعد ذلك بقليل قالت « ياليته يطهرني و ينقيني بأي ثمن يريد »

وكانت تصلي في اليوم ثلاث مرات وفي ذلك كانت تخصص صلاة الصباح لطلب الروح القدس

و بعد مدة قضتها على فراش المرض كتبت تقول « ليته يجعلني ا ، مقدساً نافعاً لخدمه السيد ! اني أنظر لكل تجربة وكل تدريب مهما كان نوعه ليس في تأثيره على الشخص بل في اعداده لخدمة السيد . وهكذا في كل ظلام روحي مؤلم أو حرب داخلية كان يعزيني أن أفتكر أن الله ربما يقودني بتلك الطرق المظلمة الخفية لكي أكون رسوله الى بعض أولاده الذين أصابهم الضيق »

وقد كتبت عن تجاربها « أو هل سمعتم عن شخص استخدم كثيراً للمسيح لم يكن له وقت انتظار لله طويل ، ولم يكن له افساد كامل لخططه الاولى — من بولس الذي أرسله الرب الى العربية حين كان يغلى ببشارة الانجيل يريد أن يذيعها — الى اليوم ؟ »

بعد ذلك أتاها الاختبار الذي طالما تمنته . وهاك وصف لذلك الاختبار بقلم اختها مازي التي شاركتها فيه :

« ذات يوم وصلها داخل خطاب من ن . — كتيب عنوانه (الكل ليسوع) يصف فيه مؤلفه ملئا للاختبار المسيحي و بركة لم تنلها . لقد كانت تشكر الله لأنها أحست أنها لمدة سنوات ماضية كانت تحبه وتسر بخدمته . ولكن كانت ترى في حياتها نقصاً — نقصاً ليس في السلوك — بل في

الاضاءة المستمرة والاستمتاع الثابت بحياة الله وقد كتبت هي لصاحب الكتاب تقول : اني اتوق كل التوق الى اختبار أعمق ، والى تعليم أوفى عن قلبي . وكتاب (الكل ليسوع) قد أثر في ايما تأثير . . . اني اعلم اني احب يسوع وهناك أوقات أحس فيها بتلك المحبة بقوة لا أستطيع لها وصفاً . واني افرح به كسيدي وملكي ، ولكني أريد أن أقترب اليه أكثر لأنال تحقيق يوحنا ١٤ : ٢١ . ولكي أعرف قوة قيامته حتى مع شركة آلامه . ولذا أريد أن يتكلم لي يسوع حتى اتكلم عنه للآخرين بقوة حقه .

ولن يأتي ذلك من درس العقائد بل من الشركة معه .

ولم يتركها الله في تلك الحالة طويلا ، فهو الذي أزكى في نفسها الرغبة للتقدم ، والآن انما هو الذي اقتادها من يدها الى أرض البركة . وفي ذلك قد استعمل الله كلمات قليلة جاءت في خطاب مراسلها عن قوة دم يسوع على حفظ اولئك الذين يعتمدون عليه من السقوط ، وعن قوة الدم المستمرة ، وتلك الكلمات هي : دم يسوع المسيح ابنه يطهرنا من كل خطية . وعند ذلك قالت اني أرى كل شيء واني أنال البركة .

« لقد جازت الآن الوديان المظلمة ، ومن ذلك الوقت فاض فرحها وسلامها فيضا ، وتعمقا واتسعا بتأثير تعليم الله والروح القدس ، والبركة التي نالتها رفعت حياتها الى نور الشمس الوضاءة . وكل ماناالته قبل ذلك بنسبة تلك البركة يشبه نسبة شمس ابريل المقنَّعة الى شمس الصيف المجيدة الزاهية .

وفي خطاب بعثت بعد ذلك به الى شقيقتها ماري كتبت هافرجال تقول « أولا أنا اصرح اننا نحن ونفوسنا تحت قوة دم المسيح نستطيع أن نتطهر

من كل خطية . وخروجنا لحظة واحدة من القوة يجعلنا نخطي فعلا . وانما نحن نحفظ من الخطية بقوة الله . فالتخلص منها معناه السقوط . أما وقد ذكرت ذلك افلم نحدد القوة المطهرة لدم المسيح ليستعملها روح الله وقوته ؟ أولم نكن محددين ١ يوحنا ١ : ٧ ، بجعلها تشير فقط الى غفران الخطايا الماضية وسلبها من قوتها على التطهير من كل اثم ؟ الكل هو الكل . واذ كنا نثق بانه يستطيع أن يطهرنا من ادران الخطايا الماضية فاننا لنستطيع أن نثق بانه يطهرنا من كل دنس نحن فيه حالا . نعم الكل . واذا لم يكن الامر كذلك فاننا نسلب ذلك الوعد قوته . اذا لانستخدمها كما يلزم واذن فنحن نحدد قوة الله في الحفظ ، وننظر لضعفنا أكثر من النظر لقوته . واين هو الحد الذي يستطاع رسم بين مايقوى عليه وما لا يقوى؟ انما كلمة (يطهرنا) هي التي فتحت لي باب مجد الرجاء والفرح ولم أرَ قوة الزمن قبلا . انه مضارع انه مضارع مستمر . مضارع لاينقلب في اللحظة التالية ماضياً . وانه ليستمر في التطهير . وليس لدي كلمات أصف بها فرح قلبي . لذلك ليس الامر هو ورود النبع للاغتسال فقط بل هو البقاء في النبع للاغتسال المستمر .

« ان اللحظة التي أدركت فيها قوة كلمة «يطهر» لهي من أعظم لحظات حياتي والطريقة التي شعرت بحقيقتها في حياتي اذ وثقت بتحقيقها أعظم من أن توصف وأنا لم أتوقع ان اصل الى هذا الاختبار تحت السماء »

ولقد ارتقت حياة هنفرجال الآن الى مستوى أرقى، والسنوات القليلة التي عاشتها كانت أحفل ماتكون بالاختبارات والخدمة للملكها وانى ذهبت كانت يدها ملآى بالخدمة ، وكان لكلماتها أجنحة من القوة الروحية . .

في ذلك الوقت كتبت ترنيمة « احفظ حياتي . . . » وقد قالت في ذلك « ربما يهمكم ان تعلموا منشأ ترنيمة التكريس (احفظ حياتي . . .) .. لقد ذهبت لزيارة بسيطة لخمسة أيام . وكان في المنزل عشرة أشخاص بعضهم كان غير مخلص وطالما طلب من اجله ، وبعضهم مخلص ولكن لم ينل فرح الروح . فأعطاني الروح صلاة : يارب اعطني كل من في المنزل . ولقد فعل . وقبل أن أبارح المنزل كان كل واحد قد حصل على بركة وفي الليلة الاخيرة طفح فرحي لدرجة لم أستطع ان انام فيها فقضيتها في التسبيح وتجديد عهد تكريس مع الله »

وكانت تعتبر كل دقيقة من وقتها وكل درهم من مالها ملكا للرب . وقالت مرة « لقد انسى احيانا ولكن القاعدة عندي ان لا انفق قرشاً واحداً بدون شعور انه له وانه يجب ان ينفق له اما مباشرة او بطريق غير مباشر » ولم تحس بانها حرة في ان تنفق اموالها على الملابس الغالية الثمن بل هي قد ضحت بحليها لعمل التبشير ، وكانت تلبس الملابس البسيطة ولكن مرتبة ، ورأيها عن اللباس ان المسيحي يجب أن يلبس بحيث لايستلفت نظر الناس لابتأنقه ولا باهماله

وكانت تقضي اوقاتها في الزيارة من منزل الى منزل تقرأ الكتاب وتهدي النفوس الى يسوع وكثيراً ماقادت اجتماعات صلاة واجتماعات تكريس . وكانت تتميز اجتماعاتها بانسكاب روح الله ، وكثيراً ما كانت ترتل في الكنائس والمستشفيات وغيرها ، وكانت تقضي جزءاً كبيرا من الصباح في درس الكتاب وتعليمه

وكانت من الصباح الى المساء مشغولة بخدمة السيد . لقد تألمت كثيراً من ضعف صحتها . وبمرور الايام ازدادت صحتها سوءا ، ولكنها على الرغم من ذلك كانت تنفق نفسها حرفياً على خدمة الآخرين وحين أظهر بعض اصدقائها عطفا عليها في اواخر ايامها كانت تقول « لاتهتموا لذلك كثيرا ، فان ذلك يختصر الطريق لي الى البيت ، ما ألذ مشيئة الله ! انه لايخطىء قط » وقبل ان تحتضر طلبت ان تكتب هذه الكلمات على قبرها « ودم يسوع المسيح ابنه يطهرنا من كل خطية » وعلى فراش موتها كانت تردد كثيرا «ما ألذ الانطلاق» وآخر ما قالته «انى اريدكم تتكلمون بكلمات بهجة عن يسوع : انى احس بالسلام يغمرنى وانى فقط انتظر يسوع ليأتى الي و يأخذنى» .

الشهـــادة

١ — الشهادة الجريئة :

كان فون زيلند — اكبر قواد فردريك الاكبر مسيحياً تقياً ، بينما كان الملك ملحداً مجدفا . وفي ذات يوم طفق الملك يرسل نكاته الساخرة عن الرب يسوع والمكان يضج بالتصفيق والضحك .

ولكن ذلك القائد الباسل الذي انتصر في معارك عديدة والذي كان في الواقع اكبر سند للملك ، لم يحتمل هذا المشهد . وفي وسط تعلق المتملقين وقف امام الملك يهز رأسه البيضاء ويقول « مولاي . انك لتعلم انى لم ارهب الموت قط ، وانى من اجلك قد خضت ثمانياً وثلاثين معركة كسبتها جميعاً .

والآن يامولاي قد وهن العظم مني ، واشتعل الرأس شيباً وعما قريب سأذهب الى حضرة من هو اعظم منك الى الرب يسوع الذي خلصني من خطاياي ، والذي انت تجدف عليه .

«مولاي . . . لن اطيق ان ارى سيدي يُستهزأ به . وانى استمحيك العذر في الانصراف يامولاي ، كرجل شيخ على ابواب الابدية يحب سيده »

فما كان من فردريك الا ان اجابه بصوت مرتعش « ياجنرال فون زيلند . انا اعتذر اليك . اعتذر اليك »

وتفرقت الجماعة في سكون . وتفكر الملك في الرب الذي هو اعظم منه والذي احبه كبير قواده أكثر من شخصه بكيفية لم يكن قد فكر بها من قبل

* * *

٢ — انطلاق اللسان :

كان لملك من بلاد ليديا في الزمن القديم ابن ابكم. سكن الامير في قصر ابيه وهو لاينبس قط ببنت شفة. حدث انه توالت على القصر مصائب عدة حارب الفرس الليديين، وغلب ملك الليديين على امره. امتدت اليه يد احد الجنود وهمَّ بقتله وهو لايدري من هو واذ ذاك وقعت عينا ابنه الابكم عليه، وفي لحظة تجمع عليه فيها الرعب ، والخوف، والحب فقام بما عجزت عنه حكمة الحكماء . انحلت عقدة لسانه ، فصرخ « اتركوه ! اتركوه !! انه الملك !! »

ولو كنا نحن على مثل هذا الاهتمام بخلاص النفوس الهالكة من الموت لرأينا أنفسنا محمولين الى الكلام ولما وجدنا أنفسنا ساكتين عن تحذير الناس من الهلاك الذي هم معرضون له .

٣ — جريمة السكوت :

تحدث احد الموسيقيين العظام يصف كيفية حصوله على كمنجة مطربة ذات شهرة عالمية بجمال صوتها .

سمع صوتها في دكان تاجر ، فسحر بصوتها العذب الأخاذ ، وعزم على أن يقدم كل ماله في سبيل مشتراها . ولكن التاجر كان قد سبق فباعها لشخص آخر كانت هوايته جمع الآلات الموسيقية القديمة الشهيرة .

قال الموسيقار في نفسه « ان مجرد تفكيري ، بان هذا الصوت السماوي سوف يقضي عليه بالسكون في خزانة لما يحز في صدري و يؤلمني فوق ما احتمل وصممت في نفسي اكثر من ذي قبل بأن امنح ذلك الصوت الحياة والقوة على تأدية الرسائل الموسيقية الالهية .

من ذلك اليوم احطت بالمنزل الذي اودعت الكمنجة فيه ، ولم اعط صاحبها راحة . ضايقته بزياراتي المتكررة والحاحي الشديد .

واخيراً اخذها من صندوقها وقال لى وقع عليها فلعبت ، و بذلت في ذلك الدور كل مجهودي وانشدت كما لو كان يتوقف على ذلك الانشاد موتى وحياتى وحين انتهيت من اللعب قال « ليس لى حق ان احتفظ بها . انها لك . انطلق الى العالم وشنف بها آذان الجميع »

وكم من موسيقى سماوية مختزنة في ابوة الله ، وفداء المسيح وقوة الصليب انها موسيقى الملائكة أغنية السماء . واولئك الذين سحروا بهذه الموسيقى حرام عليهم ان يقضوا عليها بالسكون . ليذهبوا بها للنفوس الهالكة . وليشنفوا بها آذان الخطاة .

٤ — الشجاعة المسيحية :

وعظ هيو لاتيمر الشهيد الانكليزي عظة أغضبت الملك هنري الثامن لانها لمست اوتاراً حساسة في ضميره ووبخته توبيخاً قاسياً. فطلب من الواعظ ان يعتذر في الاسبوع المقبل عما بدر منه .

فلما جاء يوم الاحد وقف لاتيمر على المنبر و بدأ وعظه بقوله « يا هيو لاتيمر . أتعلم في حضرة من أنت تعظ اليوم ؟ أنك تعظ امام مليك البلاد الذي يخشاه الجميع والذي لو شاء اسلمك للموت ولو شاء عفا عنك » ثم صمت قليلاً . و بعد قليل عاد يقول مرة أخرى مخاطباً نفسه « يا هيو لاتيمر . اتعلم ممن تسلمت هذه الرسالة ؟ ومن الذي يحصى عليك ما تقول؟ أو تعلم من الذي استأمنك على كلمته ، ومن الذي بيده أنفاسك ؟ انه الله القدير الذي في يده ان يطرحك جسداً ونفساً في بحيرة النار » .

ثم انطلق في وعظه يتكلم بكلام الحق لا يرهبه وعيد . . .

٥ — الشهادة البسيطة :

قيل عن القديس برنارد انه وعظ ذات يوم بفصاحة و بلاغة فائقتين ، فشكره العلماء ، ولم يشكره الاتقياء .

ولكن في يوم آخر اذ بشر ببساطة اتى اليه الافاضل فشكروه مما حمل العلماء على الاندهاش

فقال برنارد « بالامس بشرت ببرنارد وأما اليوم فقد بشرت بالمسيح »

اجنحة الايمـان

من لي بأجنحة الايمان أصعد بها فوق الموت والهاوية لأرى ماذا يعملان ببني البشر! لأرى مآل الفجار. ومصير الابرار. فلا اعود أقتعد عن تحذير بني الموت. بل اسعى غير مدخر وسعاً لاقتيادهم الى طريق الحياة والنور!

آه: لو استطعت ان أرى بحيرة النار. والخطاة يتقلبون فيها. لما نشفت دموعي. ولا جفت لي عبرة. ولا صمت مني اللسان. ولم أدع فرصة تمر او لحظة تضيع دون ان أمد يدي لأنتشل النفوس من مخالب الموت.

أأنام أنا وجهنم لا تنام — أنا الذي اقسمت يمين الولاء لملك السماء وعاهدته ان ابذل كل ما في يدي من قوة في الجهاد ضد الجحيم؟!

من لي بأجنحة الايمـان اطير بها فوق ضباب التجارب، كلما اعتلت جوي سحابة صعدت فوقها ولم أرض إلا ان اقعد في نور شمس تدبير الله اللألآءة الذهبية! هنا السعادة البحته. هنا السلام الدائم. هنا الراحة الكاملة لا تخالطها شائبة من شوائب الالم.

لقد خلقني المسيح حراً طليقاً فهل ارضى ان تحبسني الغيوم في ظلامها، كلا، أنا ابن الحرية أنا ابن النور فلن يسود عليَّ الظلام.

لن يستطيع شيء ان يحجب عني وجه الحبيب ولا بد لي ان اراه. فان حياتي في رؤياه. لن تستطيع ان تحجبه عني كثيفات الغيوم ولي اجنحة من الايمان.

من لي بأجنحة الايمان اصعد بهما لملاقاة الرب وهو آت. انه قادم الى

الارض بخطوات متسارعة هـ هو آت ولـكن الغمام يحجبه. ولن أستطيع ان أراه ان لم اشق الغمام باجنحة الايمان لأصعد اليه قلبي على أجنحة الايمان فلسوف يجذب القلب الجثمان . وان لم افعل فلسوف يتركني مع من اودعوا هذه الارض قلوبهم وان لم افعل فالويل لي والثبور.

من لي باجنحة الايمان أطير بها فوق الزمن القصير لأرى محيط الابدية الذي لا يحد . فيغيب ذلك عن ناظري ولا اعود أراه . ولا اعود اعبأ به او آبه له

الزمن ان هو إلا حبة من رمل على شاطىء الابد يجرفها ذلك المحيط الهائل في جوفه فلا تعود ترى ولـكن تلك الحبة قد تكون قذى في عيني يحبس عن رؤياه ذلك المحيط الـكبير

هذه أجنحة الايمان أصعد بها ناظراً ابداً الى العلا اما ان تحول نظري الى ما دوني فلسوف يصيبني ما أصاب (ايكار) اذ انحل عنه جناحاه وسقط الى الارض مهشماً من ذلك فلاتحذر !